غزوة بدر الآخرة

كان «أبو سفيان بن حرب» قد آذن المسلمين بالقتال حين قال: الموعد بيننا وبينكم (بدر العفراء) رأس الحول، نلتقي فيها فنقتتل، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: (قل: نعم إن شاء الله). ولما اقترب الموعد، أراد «أبو سفيان» ألا يخرج لموعده محتجًّا بالمحل الذي نزل بقومه، وقرر إرسال «نعيم بن مسعود» إلى المدينة ليُخذِّل المسلمين عن الخروج ويحفظ ماء وجهه لعدم خروجه.

ولما أخبر «نعيم» رسول الله ﷺ بجمع «أبي سفيان» وما معه من العدة والسلاح، رد عليه رسول الله ﷺ بقوله: (والذي نفسي بيده! لأخرجَنَّ وإن لم يخرج معي أحد).

قال ابن إسحاق عن خروج رسول الله ﷺ: ثم خرج في شعبان ـ سنة أربع ـ إلى بدر لميعاد «أبي سفيان»، حتى نزله. وقال ابن هشام: واستعمل على المدينة «عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول» الأنصاري.

فأقام رسول الله ﷺ عليه ثمان ليال ينتظر أبا سفيان، الذي خرج في أهل مكة، ثم نزل بمجنَّة من ناحية الظهران، وقال بعضهم: قد بلغ عُسْفان، ثم بدا له الرجوع، فقال: يا معشر قريش!: إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر، وتشربون اللبن، وإن عامكم هذا عامُ جدب، وإني راجع، فارجعوا، فرجع الناس، فسماهم أهل مكة «جيش السويق»، يقولون: إنما خرجتم تشربون السويق.

وفيما كان رسول الله ﷺ ينتظر مقدم «أبي سفيان» لميعاده إذ أتاه

«مَخْشِي بن عمرو الضَّمْري»[١]، وكان قد وادعه على بني ضمرة في غزوة (ودَّان) فقال: يا محمد! أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: (نعم، يا أخا بني ضمرة!، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك) قال: لا والله! يا محمد! ما لنا بذلك من حاجة. ثم مرَّ برسول الله ﷺ «معبد الخزاعي» فقال: وقد رأى مكان رسول الله ﷺ وناقته تهوي به:

قد نفرت من رفقتيْ محمدِ ... وعجوةٍ من يثربٍ كالعَنْجَدِ[٢]
تهوي على دين أبيها الأتلدِ ... قد جعَلتْ ماء قُدَيْد موعدي
وماء ضَجْنان[٣] ضُحى الغَدِ

ولما رجع «أبو سفيان» بالقوم قال له «صفوان بن أمية» في مكة[٤]: قد نهيتك يومئذٍ أن تعد القوم، وقد اجترؤوا علينا ورأوا أن قد أخلفناهم.

ولم يكن ثمة قتال، فرجع رسول الله ﷺ بالرجال إلى المدينة، ونزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣ ـ ١٧٤] وذكر العلاَّمة الآلوسي في تفسيره أبياتاً لعبد الله بن رواحة، أو كعب بن مالك في خلف أبي سفيان لموعده:

وعدنا أبا سفيان وعداً فلم نجد ... لميعاده صدقاً وما كان وافيَا
فأُقْسِمُ لو وافيتنا فلقيتنا ... لأُبْتَ ذميماً وافتقدت المَوالِيَا
تركنا به أوصال عتبة وابنَه ... وعَمْراً أبا جهل تركناه ثاويَا
عصيتم رسول الله أُفٌّ لدينكم ... وأمركم الشيء الذي كان غاويَا
وإني وإن عنفتموني لقائلٌ ... فدًى لرسول الله أهلي ومالِيَا
أطعناه لم نعدِلْه فينا بغيره ... شهاباً لنا في ظلمة الليل هاديَا

(١) انظر سيرة ابن هشام (٣/٢٣٢).
(٢) العَنْجَد: حب الزبيب أو الزبيب الأسود.
(٣) ضَجنان: جبل بناحية تهامة.
(٤) انظر الموسوعة الإسلامية الميسرة (١٧٢٨).